" عـلـــم الـكـــــــلام "

م. د. محمد سعدون عبيد

المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة الثانية

٠٧٧١٠٥٢١٩٨٢

Caas7942@gmail.com

"The science of speech "

dr. Muhammad Saadoun Obaid

General Directorate of Rusafa Educationthe second

" عـلـــم الـكـــــــلام "

م. د. محمد سعدون عبيد

الملخص :

علم الكلام هو من العلوم العقلية التي أشتهر بها المسلمون خصوصاً بعد ظهور الاسلام حيث نص القرآن الكريم على مجادلة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " للمشركين والكفار بالطرق السلمية الودية بادئ الأمر . وأخذ آل بيته الكرام وأصحابه نفس الطريقة والاسلوب لمحاججة المخالفين لهم بالعقيدة الدينية . أخذ علم الكلام بالنمو والتطور بعد ازدياد ملل المسلمين ونحلهم واتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية وانتشار الإسلام في جميع ربوعها حيث أخذ كل مذهب يدافع عن اعتقاده الديني من خالفه بالاعتقاد وبرزت شخصيات قد ابدعت وأجادت في علم الكلام وكان من ابرزهم بعد شخصية الرسول محمد " صلى الله عليه وآله وسلم " الإمام علي بن أبي طالب " عليه السلام " فهو بحق أمير البلاغة والفصاحة وهو صاحب الحجة الدامغة على من خالفه بدينه واعتقاده وكذلك برزت شخصيات على مر العصور اشتهرت بمؤلفاتها ومصنفاتها على اختلاف مشاربهم كانوا قد اجادوا وابدعوا ولهم الغلبة في علم الكلام .

كلمات مفتاحية " كلام . الشيعة . مجادلة . علم "

Apstarct :

Theology is one of the rational sciences with which Muslims are well known, especially after the advent of Islam, where the Noble Qur’an stipulated that the Prophet, may God’s prayers and peace be upon him and his family, argued against polytheists and infidels by peaceful and friendly methods at first. . His esteemed household, his companions, took the same method and manner to argue against their opponents with the religious belief. The science of theology grew and developed after the increasing boredom and disintegration of Muslims and the expansion of the Arab Islamic state and the spread of Islam in all its

quarters, as every sect defended its religious belief from those who disagreed with it by belief, and personalities emerged who had excelled in the science of theology. And the greeting of Imam Ali bin Abi Talib, peace be upon him, is rightly the prince of eloquence and eloquence, and he is the author of the firm argument against those who disagreed with his religion and belief, as well as prominent personalities over the ages who were famous for their writings and compilations of different backgrounds who had excelled and excelled in theology.
Key words : "Speech. Shiites. Controversy. Knowledge."

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأفضل التسليم على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآل بيته الطاهرين وأصحابه الغر المنتجبين .

إنَ لعلم الكلام الإسلامي آفاق واسعة ومفاهيم كثيرة لما له من أهمية بالغة في إبداء الحجج الدامغة للدفاع عن الاعتقاد الديني لدى من يجادل من المسلمين سواء كان ذلك الجدال بين المسلمين أنفسهم باختلاف مللهم ونحلهم أو بين المسلمين ومعتنقي الأديان الأُخرى ، قُسمَ البحث إلى مبحثين الاول تناول علم الكلام وتعريفاته المتعددة ونشأته وعلم الكلام في القرآن الكريم ، أما المبحث الثاني فقد ذكر الفرق الاسلامية التي نشأ لديها علم الكلام وقد برعت باستخدامه لمجادلة مخالفيها بالاعتقاد الديني وأمثلة على ذلك المعتزلة والشيعة والقدرية والجبرية وتم التطرق إلى رجالات تلك المذاهب حيث برزوا بمؤلفاتهم ومصنفاتهم وطرقهم وأساليبهم في المناظرات والمجادلات للدفاع عن معتقدهم الديني ، وكذلك تطرق البحث في طياته إلى علم الكلام في المغرب والأندلس وأيضاً تحريم علم الكلام عند أهل الحديث ، ومن ثم خاتمة للبحث يذكر الباحث فيها ماتوصل من نتائج واستنتاجات وقائمة للمصادر والمراجع المستخدمة في البحث .

وقد استخدم الباحث نظام ApA لكتابة الهوامش وقائمة المصادر والمراجع .

والله ولي التوفيق .

المبحث الأول : علم الكلام /

اولاً : تعريفاته /

١ــ هناك تعريفات لعلم الكلام فيعرفه العلامة ابن خلدون (١٩٨١م ، ص٤٥٨): هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الدينية الايمانية بالأدلة العقلية والرد عليها وعلى المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات من مذهب السلف واهل السنة .

ويعرف وأيضاً بانه العلم الباحث في اثبات وجود خالق الكون وصفاته وافعاله (العاملي ، ٢٠٠٣م ، ص١٦) .

وكذلك هو العلم المعني باثبات العقائد عن طريق الحجج والبراهين العقلية والنقلية (الميلاني ، ١٤١٣هـ ، ص١١٥) .

وأيضاً هو العلم الذي يبحث فيه عن إثبات أصول الدين الإسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بها (الفضلي ، ١٩٩٣م ، ص٩) .

اما غاية علم الكلام فهي حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من أهل البدعة فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق على مافيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والاخبار وكادوا يشوشون عقيدة الحق على اهلها فانشأ الله طائفة من المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله (الغزالي ، د_ت ، ص٧٩) . وتعد تعريفات علم الكلام التي قدمها علماؤه ومؤرخوه من الشواهد التي تشهد على أصالته فجل تعريفاتهم تسند علم الكلام الى الدين وأصوله وتشير كلها الى أن موضوعه هو الأصول الاعتقادية التي تكون المعرفة النظرية بالدين (الفارابي ، ١٩٦٨م ، ص١٣١–ص١٣٢) .

وعلم الكلام يتناول هذه الاصول الاعتقادية بالإثبات والدفاع عنها بالأدلة العقلية فيدخل في دائرته جميع هؤلاء الذين يتخذون النظر العقلي وسيلة لإثبات العقائد التي جاء بها الإسلام أو الدفاع عنها من حيث أن مهمة تأسيس العقيدة الإسلامية على أسس برهانية

حتى يمكن فهم العقيدة وعرضها على الآخرين والدفاع عنها (التوحيدي ، ١٣٢٣هـ ، ص١٩٢-ص١٩٣) .

وهكذا يكون علم الكلام علماً دينياً خالصاً سواء في موضوعه أو غايته وإذا كان أحد معاني الأصالة أن يكون للشئ أصل ثابت يبنى عليه فان الأصل هنا في علم الكلام هو الدين الإسلامي وأصوله فهي موضوعه وغايته (السيد ، ١٩٨٧م ، ص١٤- ص١٥). ويعد علم الكلام في طليعة العلوم الإسلامية الأصيلة فقد ثبت تاريخياً أنه ولد في بيئة المسلمين فكرياً وجغرافياً ولم يعرف أنه تأثر في وضعه ثقافة غير إسلامية (الفضلي ، ١٩٩٣م ، ص٩) .

٢_ نشأته /

نشأ علم الكلام في بداية القرن الثاني للهجرة على يد المعتزلة وإن كانت المشكلات الدينية قد ظهرت قبل ذلك بنصف قرن من الزمان حينما وقع الجدل حول مشكلة " مرتكب الكبيرة " ومشكلة القدر مما يمكن اعتباره إرهاصاً مبكراً لعلم الكلام (سليمان ، ١٩٩٨م ، ص١١) .

نشأ علم الكلام ولم يكن للبشرية بعلم الكلام علم منذ عرفت العلم فلم يعرفه السابق حتى يعلمه اللاحق فكان علماً مبتكراً جديداً (العماري ، د_ ت ، ص٦) . ولما كان رأينا يتمثل في أن نشأة علم الكلام باعتباره نسقاً كلامياً مرتبطة بنشأت المعتزلة فلا بد من الإشارة إلى الحادثة المشهورة في نشأتهم والتي تناقلتها معظم كتب الفرق الإسلامية وإذ انها تمثل المنطلق الأول لنشأت حركة الإعتزال . وفي رواية الشهرستاني (١٩٨٠م ، ج١ ،ص٤٨ ؛ سليمان ، د_ ت ، ص١٢) لهذه الحادثة أنه : " دخل شخص على الحسن البصري فقال له : يا إمام الدين لقد ظهرت في زمننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم وعيدية لاتضر الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولايضر مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً ؟ ففكر الحسن بذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن

مطلقاً ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين : لامؤمن ولاكافر ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن : اعتزل عنا واصل فسمى هو وأصحابه معتزلة " .

ثانياً : علم الكلام في القرآن الكريم /

يقف كل تالٍ لكتاب الله على المرتبة الجليلة التي يتربع عليها علم الكلام ونحن نقتطف فيما يلي بعض الآيات المرشدة إلى ذلك :

١ــ لقد استعمل نبي الله نوح " عليه السلام " في مواجهة قومه الكافرين به اسلوب الجدال في الدين لإثبات ما جاءهم به وابطال أقاويلهم ودأب على ذلك حتى ضجوا منه كما قال تعلى: " قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ " (سورة هود ، آية ٣٢) .

٢ــ وذكر تعالى أن ابراهيم " عليه السلام " حاج كافراً في الله تعالى فقال : " أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ " (سورة البقرة ، آية ، ٢٥٨) .

٣ــ أمر تعالى نبيه الأمين محمد " صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم " بجدال مخالفيه بقوله تعالى : " ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ " (سورة النحل ، آية ، ١٢٥) .

٤ــ وأذن الله تعالى للمسلمين بمجادلة أهل الكتاب متبعين أسلوب البرهان الصحيح والمنطق السليم فقال : " وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ " (سورة العنكبوت ، آية ، ٤٦) .

جميع ذلك يرشدنا إلى مقام وأهمية الاستدلال والمجادلة في إحكام بنيان العقيدة وهو السبيل الذي يسلكه علم الكلام .

المبحث الثاني : علم الكلام عند الفرق الإسلامية /

١ـ المعتزلة : كانت النشأة الحقيقية لعلم الكلام على يد المعتزلة وكان ذلك في مدينة البصرة التي اعتبرت مهد الإعتزال وكان رجال المعتزلة قد نصبوا أنفسهم للدفاع عن عقائد الإسلام من التوحيد والنبوة والمعاد ولعل من أهم المسائل العقائدية التي تناولها ووضع الجدل والخلاف فيها وهي مسألة كلام الله وخلق القرآن فقد ملئوا بجدالهم وحجاجهم مساجد البصرة وجذبوا بحسن بيانهم وقوتهم في الإقناع العامة والخاصة من الناس (السامرائي ، ١٩٨٦م ، ص٢٦٤) .

٢ـ الشيعة : حث أئمة أهل البيت " عليهم السلام " على مناظرة أهل الباطل والمعاندين لإثبات العقيدة ودفع شبهاتهم كما بجلوا رجالات هذا العلم من أصحابهم الذي أُتوا المقدرة على المجادلة ونُصرة المذهب ومن هذه الروايات :

أ_ عن النضر بن الصباح قال : " كان أبو عبد الله الصادق " عليه السلام " يقول لعبد الرحمن بن الحجاج : " كلم أهل المدينة ، فإني أُحب أن يرى في رجال الشيعة مثلك " (المجلسي ، د_ت ، ج٢ ، ص١٣٦) .

ب _ قال الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر " عليه السلام " لـ محمد بن حكيم " كلم الناس وبين لهم الحق الذي أنت عليه وبين لهم الضلالة التي هم عليها " (المفيد ، د_ ت ، ص٢٠٢).

ج _ سأل هشام بن الحكم[١] عن أسماء الله تعالى واشتقاقاتها فأجابه ثم قال له : " أَفهمت ياهشام فهماً تدفعُ به وتناضلُ به أعدائنا والمتخذين مع الله عز وجل غيره " قال هشام : "

[١] – وهو أحد تلامذة الإمام الصادق " عليه السلام " ولد بالكوفة ونشأفي واسط عمل في التجارة في بغداد اتصل بالصادق بداية شبابه برع في علم الكلام وفاق جميع اصحابه لازم الإمام الكاظم " عليه السلام " .

نعم " فقال هشام : " فوالله ماقهرني أحدُ في التوحيد حتى قُمتُ مقامي هذا " (الكليني ، ١٤١١هـ ، ص٨٧) .

د _ وقال الإمام الصادق " عليه السلام " عندما بلغه موت محمد بن الطيار : " رحم الله الطيار ولقاه نظرةً وسروراً فلقد كان شديد الخصومة عنا أهل البيت " (المجلسي ، د_ت ، ج٢ ، ص١٣٦) .

هـ _ اجتمع إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري قوم من مواليه والمحبين لآل محمد " صلوات ربي عليهم أجمعين " وقالوا له : " يابن رسول الله إنَ لنا جاراً من النصاب يؤذينا ويحتج علينا في تفضيل الأول والثاني والثالث على أمير المؤمنين " عليه السلام " ويورد علينا حججاً لاندري كيف الجواب عنها والخروج منها : فقال له " عليه السلام " : ويورد على تلامذته : " مر بهؤلاء إذا كانوا مجتمعين يتكلمون فتسمع إليهم فيستدعون منك الكلام فتكلم وأفحم صاحبهم وأكسر عربه[١] وفُل حده[٢] ولاتبقِ له باقية " . فذهب الرجل وحضر الموضع وحضروا وكلم الرجل فأفحمه وحيره لايدري في السماء هو أو في الأرض " (العاملي ، ٢٠٠٣م ، ص١٦) .

٣_ ابرز رجالات الشيعة الذين اشتهروا بعلم الكلام /

للشيعة الامامية تاريخ حافل بالنشاط الكلامي وهذا النشاط تطور كثيراً خلال الفترات الزمنية اللاحقة فكان موضوع الإمامة الذي يعد من أصول المذهب الامامي دفع برجال الشيعة إلى اعتماد الكلام لتثبيت هذه العقيدة .

أ_ ان بني نوبخت وابن قبة كانوا طلائع هذه المدرسة الشيعية الجديدة في الكلام التي أدت إلى الخلط بين الكلام الشيعي والكلام المعتزلي من اعلام الامامية الذين صنفوا في علم الكلام .

[١] – عربه : أي شدته في الكلام حيث يتكلم بالقبيح .

[٢] – الحد : طرف السيف الماضي . قوله فل حده ، كناية عن كسر شوكته .

ب_ الأنباري : عبد الله بن أحمد المعروف بأبي زيد الأنباري " ت ٣٥٦هـ " وهو من سكنة واسط يعد من المصنفين المكثرين فقيل له مئة واربعين كتاباً ورسالة عدد منها ذات طابع كلامي وفلسفي في مذهب الشيعة الامامية (النجاشي ، ١٤٣١هـ ، ص٢٣٣) .

ج _ الشيخ المفيد " ت ٤١٣هـ " : استطاع أن يضع اللبنات الأساسية لعلم كلام شيعي تجاوز به كل متكلمي الشيعة الامامية الذين سبقوه فقد استطاع ان يضع الحدود الواضحة لعقائد مذهب الامامية من خلال العشرات من المصنفات والمناظرات من اتباع المذاهب الأخرى (الأمين ، ١٩٩٧م ، ج٩ ، ص٤٧٢) . لقد نجح الشيخ المفيد نجاحاً كبيراً في وضع الدعامات الصلبة لبناء علم الكلام الإسلامي بشكل عام وشيعي بشكل خاص من خلال اعتماده على روايات ائمة أهل البيت وعلم الدراية او مايعرف بالاستدلال العقلي بشكل يدل على عقلية جبارة متمكنة من ناحية جل العلوم والمعارف الإسلامية .

د_ الشريف المرتضى " ت ٤٣٦هـ " : وهو علم من اعلام علم الكلام متمماً ومطوراً لانكار شيخه المفيد والمرتضى مع مسؤوليتة الكبيرة في الزعامة الاجتماعية والدينية للشيعة إلا أنها لم تشكل عائقاً امامه ليصنف العشرات من الكتب اكثرها في علم الكلام (النجاشي ، ١٤٣١هـ ، ص٣٨١– ص٣٨٢) .

هـ _ الشيخ الطوسي " ت ٤٦٠هـ " : هو علم كبير استطاع ان يتمم مابداه الشيخ المفيد والسيد المرتضى ومساهمة الطوسي في علم الكلام متميزة من ناحية الكم والنوع فالشيخ الطوسي كان له كرسي الكلام لأن علم الكلام في تلك العصور قد كانت له الرتبة الأولى بالنسبة إلى باقي العلوم حتى الفقه والحديث لقد ذكر الطوسي في كتابه " الفهرست " عندما ترجم لنفسه ستة عشر كتاباً كلها في علم الكلام (الطوسي ، د_ت ، ص١٥٩– ص١٦٠) .

٤_ القدرية والجبرية /

ان علم الكلام علم قائم بذاته والمراد به الجدل الذي اثير حول بعض المسائل الدينية التي تطرح أمام العقل البشري كمسائل الجبر والاختيار والله وصفاته وغيرها من الامور التي اثيرت منذ القدم ولاتزال إلى اليوم تثار وقد تنوعت تفسيرات الفقهاء بصددها منذ وقت مبكر

ومناط الخلاف حولها يكمن في درجة اعمال العقل هل يطلق له العنان في التأويل والاستنباط ام عليه الإلتزام بالنصوص وكان هناك من يعد الرجل الذي يكثر من الجدل " صاحب كلام " فقد قيل إنَ إياس بن معاوية اجتمع هو وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر :" هذان مختلفان قد اجتمعا يتناظران، فقال إياس : يا أمير المؤمنين ان غيلان صاحب كلام وأنا صاحب اختصار ، فأما أن يسألني ويختصر وأما أن أسأله وأختصر " (ابن بدران ، د– ت ، ج٣ ، ص١٧٨) .

ومع نهاية القرن الأول والقرن الثاني ظهرت فرقتان او مذهبان في الشام الأولى القدرية والتي تقول ان الإنسان قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها والثانية هي الجبرية التي تقول ان القدر خيره وشره من الله تعالى (الشهرستاني ، ١٩٨٠م ، ج١ ، ص٤٥) .

وقد كان للمذهب الثاني دور بارز في العصر الأموي ليس على الصعيد الفكري فحسب بل على الصعيد السياسي كذلك (دكسن ، ١٩٧٥م ، ص٤٠١) . فقد اعتنق الأمويون الجبر في الخلافة منذ صدر دولتهم . والذي يهمنا هو القدرية نفذوا من منه الى مهاجمة مبدأ الجبر الذي تسلح به الأمويون في محاربة خصومهم ففتحوا الباب إلى نقدهم والحكم على أعمالهم . ويخلط مصطلح القدرية بمصطلح المعتزلة ويستعمل أحدهما مكان الآخر فيسمى المعتزلة قدرية لأنهم وافقوا القدرية في قولهم : أن للإنسان قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى وانكروا ان تكون الأشياء بقدر الله وقضائه (أمين ، ١٩٦٥م ، ص٢٨٧) .

ويسمى القدرية معتزلة اذ يطلق المسعودي (ابي الحسن ، د_ ت ، ١٩٨١م ، ج٣ ، ص٢٣٩) .

على القدرية الذين أيدوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك اسم المعتزلة فيقول : " كان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع شائعة من المعتزلة وغيرهم ...على الوليد بن يزيد " .

ولما كانت القدرية يمثلون اتجاهاً من اتجاهات المعارضة للخلافة الاموية فإن الخلفاء الأمويون تصدوا لهم وقاوموهم مقاومة تنوعت أساليبها وتباينت اشكالها فقد أمروا الفقهاء

والعلماء من أهل السنة في دمشق بمجادلة القدرية لدحض آرائهم . فقد قيل : يجب ذكر العلم عن أهله فهم أعلم به وأنصح به (ابن المقفع ، ١٩٨١م ، ص١١٥) .

وقد جادل الخلفاء أنفسهم بعض القدرية فقد بعث الخليفة عبد الملك بن مروان إلى الحسن البصري لما بلغه قوله بالقدر برسالة يطلب فيها من الحسن البصري ان يطلعه على حقيقة ماوصله (دكسن ، ١٩٧٥م ، ص٤٠١) . وعلى كل حال فإن مجادلة الخلفاء الأمويون للقدرية لم تقتصر على الخليفة عبد الملك فالخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عرف بحبه للمذاكرة في الدين والتدارس فيه بقصد المعرفة بين الرجال فقال : " رأيت ملاحاة الرجال تلقيحاً لألبابهم " (ابن عبد البر ، د_ت ، ج٢ ، ص١٠٨) ، كان من بين الخلفاء الأمويين الذين جادلوا القدرية وله في ذلك مناظرات كثيرة فقد روى البغدادي (د_ ت ، ص١٢٠) " أن للخليفة عمر بن عبد العزيز رسالة في الرد على القدرية " لكنه لم ينقل منها شيئاً وكان عمر بن عبد العزيز مع شهرته بالجدل والمناظرة يكره ذلك ولولا أنه خليفة ومضطر إلى مجادلة من يراه خارجاً على العقيدة لما جادل ، فقد روى عنه الأوزاعي (د_ ت ، ج٥ ، ص٣٤٦- ص٣٥٣) قوله : " ما رأيت قوماً يتناجون في دينهم دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة " . فكان عمر يحب أن يكون دينه دين الفطرة السمحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا جدل ولافلسفة فكان يقول : " ديننا دين العجائز وصبيان المكاتب ودين الأعراب " (المكي ، د_ت ، ج٢ ، ص٢٥٨) .

٥_علم الكلام في المغرب ولأندلس /

كان المغرب يسير على وفق العقيدة السلفية في" العهد المرابطي " وظل أهل هذه البلاد على هذه العقيدة حتى ظهر المهدي محمد بن تومرت صاحب الدولة الموحدية إذ كانت دولته ودعوته توحيدية محض فقد تحدى علماء المرابطين ورماهم بالشرك والتجسيم لأنهم يتمسكون بظاهر الآيات المتشابهات وظل يقاومهم حتى سقطت الدولة المرابطية وقامت الموحدية تحمل مذهباً كلامياً جديداً دعا إليه ابن تومرت ، وفي ذلك يقول المراكشي (عبد الواحد ، د_ ت ، ج٣ ، ص١٨٤) : " وكان جُل ما يدعوا إليه ابن تومرت علم الاعتقاد

على طريق الأشعرية وكان أهل المغرب ... يناضرون هذه العلوم ويعادون من ظهرت عليه شديداً أمرهم في ذلك " .

وليس في شك من أن ابن تومرت كون عقيدة من المذاهب الإسلامية التي سبقته ولكنه خرج آخر الأمر بعقيدة توحيدية متميزة خاصة به فالعقيدة التومرتية تعتبر مزيجاً من المذاهب الكلامية فعي ليس أشعرية بحتةً كما ذكرها المراكشي وابن خلدون ولا خارجية كما ذكرها علماء المرابطين (حسن ، د_ ت ، ج٢ ، ص٤٦٨) . كما انهم ليست معتزلية تقوم على الأدلة العقلية وحدها ولا سلفية تنأى عن الرأي والتأويل بل هي مزيج من أغلب المذاهب المذكورة وغيرها وقد اغفل المؤرخون جانباً هاماً في وضع هذه العقيدة وهو المذهب الحزمي فقد تأثر ابن تومرت بآراء ابن حزم في العقيدة كان من الضروري أن تعقد مقارنة بينهما في هذا الصدد ولكنه من العسير ان نعقد مقارنة كاملة بين ابن حزم وبين المهدي بن تومرت في ميدان التوحيد لسبب أساسي وهو أن ابن حزم له مذهب كلامي مفصل واضح المعالم محدد المنهج إذ قد ناضل المعتزلة والأشعرية والخوارج والشيعة والمرجئة وغيرهم وانتهى من هذا النضال إلى نتائج تميز مذهبه وتعين مدرسته وتبرز شخصية المذهب الظاهري الذي فضله ابن حزم على جميع المذاهب وأعجب به (حسن ، ج٢ ، ص٤٦٨) . المهدي بن تومرت فلم يناضل المذاهب الكلامية نضالاً علمياً ولم يقدم لنا نظريات وآراء نستطيع بها أن نبني له مذهباً خاصاً وربما كان السبب في ان يجعل ابن تومرت عن ان يترك للناس مذهباً دراسياً على نمط المعتزلة والأشعرية (حسن ، د_ت ، ج٢ ، ص٤٦٨) .

٦_ تحريم علم الكلام لدى أهل الحديث /

قوبل علم الكلام بموجة من الاستنكار الشديد من قبل أهل الحديث والفقهاء والصوفية واطلقوا على علم الكلام وأهله أصحاب البدع ومن أهم ما استندوا عليه في هذا الوصف أن الرسول محمد " صلى الله عليه وآله " والصحابة لم يشتغلوا به فهو من البدع فراحوا ينكبون في ذم علم الكلام وأهله (عنصر_نائب١) .

فيقول ابن قتيبة (١٣٢٦هـ ، ص١٢- ص١٣) في ذم المتكلمين واختلافهم في الدين : " وقد تدبرت رحمك الله مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون أصول على الله مالايعلمون ويفتنون

الناس بما لا يأتون ويبصرون القذى في عيون الناس وعيونهم تطرق على الأجذاع ويتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آرائهم في التأويل ومعاني الكتاب والحديث ... ولو كانوا اختلافهم في الفروع والسنن لاتسع لهم العذر عندنا وإن كان لاعذر لهم الأسوة بهم ولكن اختلافهم في التوحيد وفي صفاة الله وفي قدرته وفي تقييم أهل الجنة وعذاب أهل النار وعذاب البرزخ وفي اللوح وفي غير ذلك من الأمور التي لايعلمها نبي إلا بوحي من الله تعالى " .

ان علم الكلام من قواعد المبتدع فيما يدعوا إليه من البدع يعقده صاحب الابتداع ليقنع به الأتباع فمن اقتنع بعلم الكلام ابتدع في الاسلام لأنه باب للدخول إلى رد قول الله والرسول وبه يفتح الباب والمجال لقبول آراء الرجال فلا يبقى سبيل لقبول التنزيل (العماري ، د_ ت ، ص٦).

وخلاصة القول نجد القرآن الكريم بما احتواه من شرح العقيدة والانتصار لها وتقديمه لحلول المشكلات المتعلقة بها كالجبر والاختيار والله والكون وخلقه واليوم الآخر والثواب والعقاب والمسائل الأخلاقية كان ذلك كله المادة التي كونت علم الكلام الإسلامي بل يمكن القول بأن المشكلات التي أثارها علم الكلام انما هي تلك المشكلات التي يمكن أن يلتمس لها حلولها في القرآن الكريم (السيد ، ١٩٨٧م ، ص١٤– ص١٥) .

الخاتمة :

بعد منة المنان الباري المتعال الذي قدرني على أن أدلو بدلوي بالخوض في كتابة بحث عن علم الكلام وبعد الإفراغ منه وجدت مايلي :

١_ ان لعلم الكلام تعاريف كثيرة ومثمرة عرفهُ بها علماء المسلمين من جميع أطيافهم ومذاهبهم .

٢_ ان لعلم الكلام جذور تاريخية اكيدة تمتد منذ بداية الرسالة المحمدية وقد نص عليها القرآن

الكريم حيث أمر سبحانه وتعالى نبيه بمجادلة اهل الشرك والنفاق والباطل .

٣_ كذلك أخذ أهل البيت " عليهم السلام " بالعمل في علم الكلام واخذوا يحثون اتباعهم

وانصارهم لمحاججة المخالفين لدين الإسلام .

٤_ اتخذت العديد من الفرق والمذاهب الإسلامية من علم الكلام لابداء آرائها ونشر افكارها مثل : المعتزلة والقدرية وغيرهم .

٥_ اتخذ الشيعة من علم الكلام اسلوب وطريقة لمحاججة أهل الخلاف معهم وبرع العديد من رجال المذهب الشيعي مثل الشيخ المفيد والسيد الشريف المرتضى والشيخ الطوسي وغيرهم .

٦_ كذلك استخدم أهل المغرب علم الكلام للمحاججة في طروحاتهم العقائدية كما في المشرق .

قائمة المصادر والمراجع /

المصادر الأولية :

القرآن الكريم

الأوزاعي ، عبد الرحمن . د_ ت . حلية الأولياء . د_ ط . د_م .

البغدادي ، عبد القاهر . د_ ت . الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية . د_ ط . مصر .

ابن بدران ، عبد القادر . د_ ت . تاريخ دمشق . د_ ط . د_ م .

التوحيدي ، ابو حيان . ١٣٢٣هـ . ثمرات العلوم مع كتاب الأدب والإنشاء في الصداقة والصديق . د_ ط . القاهرة .

ابن حزم ، علي . ١٤١٦هـ . الفصل في الملل والأهواء والنحل . ط٢ . بيروت .

ابن خلدون ، عبد الرحمن . ١٩٨١م . المقدمة . د_ ط . بيروت .

الشهرستاني ، محمد . ١٩٨٠م . الملل والنحل . د_ ط . بيروت .

الطوسي ، محمد . د_ ت . الفهرست . د_ ط . النجف .

ابن عبد البر ، يوسف . د_ ت . جامع بيان العلم . د_ ط . د_ م .

الغزالي ، محمد . د_ ت . المنقذ من الضلال . د_ ط . د_ م .

الفارابي ، ابو نصر . ١٩٦٨م . احصاء العلوم . ط٣ . مصر .

ابن قتيبة ، عبد الله . ١٣٢٦هـ . تأويل مختلف الحديث . د_ ط . مكتبة المتنبي . القاهرة.

الكليني ، محمد . ١٩٩٠م . الكافي . د_ ط . التعارف . بيروت .

المجلسي ، محمد . د_ ت . بحار الأنوار . د- ط . د_ م .

المفيد ، محمد . د_ ت . تصحيح الاعتقاد . د_ ط . د_ م .

المسعودي ، علي . د_ ت . مروج الذهب ومعدن الجوهر . د_ ط . دار الكتاب العربي . بيروت .

ابن المقفع ، عبد الله . ١٩٨١م . الأدب الكبير والأدب الصغير . د_ ط . دار الجيل . بيروت .

المراكشي ، عبد الواحد . د_ ت . المعجب في أخبار المغرب . د_ ط . الجمهورية العربية المتحدة .

النجاشي ، أحمد . ١٤٣١هـ . رجال النجاشي . ط١ . شركة الأعلمي . بيروت .

المراجع :

أمين ، أحمد . ١٩٦٥م . ضحى الإسلام . د_ ط . القاهرة .

الأمين ، حسن . ١٩٩٧م . " مقالة عن علم الكلام " . د_ ط . دار التعارف . بيروت .

حسن ، ابراهيم . د_ ت . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . د_ ط . مكتبة النهضة المصرية . مصر .

دكسن ، عبد الأمير . ١٩٧٥م . " رسالة مكاتبات عبد الملك بن مروان مع الحسن البصري في الإنشاء " . مجلة الجامعة المستنصرية . العدد الخامس .

السيد ، محمد . ١٩٨٧م . اصالة علم الكلام . د_ ط . دار الثقافة والنشر والتوزيع . القاهرة .

السامرائي ، خليل . ١٩٨٦م . دراسات في تاريخ الفكر العربي . د_ ط . دار الكتب للطباعة والنشر . الموصل .

سليمان ، عباس . ١٩٩٨م . الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الإسلامي . د_ ط . دار المعرفة الجامعية . مصر .

العاملي ، حسن . ٢٠٠٣م . بداية المعرفة . د_ ط . مؤسسة بقية الله . النجف .

العماري ، محمد . د_ ت ، الإمام في تحريم علم الكلام . ط١ . السعودية .

الفضلي ، عبد الهادي . ١٩٩٣م . خلاصة علم الكلام . ط٢ . دار المؤرخ العربي . بيروت .

الميلاني ، علي . ١٤١٣هـ . الامامة في اهم الكتب الكلامية . د_ ط . دار الشريف . قم .

المكي ، محمد . د_ ت . قوت القلوب في معاملة المحبوب . د_ ط . د_ م .